بـائية أبي فراس الحمداني بيـن مطرقـة السجن وسنـدان الشـوق (دراسة تحليلية أسلوبية)

د. سلمى كـاظـم نـمـر
إعـداديـة بغـداد للبنـات/الرصـافة الاولى

الخلاصة

يهدف هذا البحث إلى دراسة إحدى روميات أبي فراس الحمداني (320–357هـ) أحد شعراء الشام في العصر العباسي للوقوف على مآثر الفارس والشاعر العربي الذي أدى رسالته في سبيل الحفاظ على شرف العروبة ومكانة الإسلام ، واستعراض لأجمل ما جاء فيها من المزايا والشمائل العربية والمثل العليا من فروسيةٍ وشجاعة وتضحية وإباءٍ وكرم وسماحةِ أخلاق، وعفةِ نفسٍ وصبرٍ على المكاره .

Bayiyatan Abi Firas Al-Hamadaniy's on the horns of ad dilemma of prison and longing(a stylistic analytical study)

Dr. Salma Kadhum Nimer
Baghdad high school for girls/ First rusafaa education directorate

Abstract

The current study aims to study one Firas Al- Himdani's Romeyat poems (320 – 357 AH), he was one of sham poets in the era of the Abbasid as to know the glories of the knight and Arabic poet, whose message led to preserve the honor of the nation and Islam prestige , along with exposing the better one . His message includes Arabic merits and high values in respect of chivalry , encouragement , sacrifice , forgiveness and tolerance in addition to morality and patience .

روميات أبي فراس الحمداني

أُطلق هذا الاسم على القصائد والمقطعات التي نظمها أبو فراس وهو أسير في بلاد الروم ، يقاسي مرارة القيد ونار البعد عن الأهل والأحباب ، تحمل فيها ألوان العذاب في جسمه وفي نفسه مدة أربع سنين [1].

بلغت هذه الروميات خمساً وعشرين قصيدة وثلاثاً وعشرين مقطوعةً ، تميزت بالتصوير الفني الواقعي للحالة التي يعيشها ومرارة الشكوى التي أحاطتها ، وقصة اندماجه مع الأسر الذي ولَّد تصويراً جميلاً ، فكانت الروميات من محاسن شعره كما وصفها الثعالبي بقوله : ((رمى بها هدف الإحسان وأصاب شاكلة الصواب ولعمري إنها كما قرأته لبعض البلغاء ، لو سمعتها الوحش لأنستْ أو خوطبتْ بها الخرس لنطقتْ ، أو استدعي بها الطير لنزلتْ)) [2].

فالروميات نتاج الأسر وطول المفاداة ((وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض وفرط الحنين إلى الأهل والأخوة والأحباب والتبرم بالحال والمكان عن صدر حرج وقلب شج ، تزداد رقة ولطافة وتبكي سامعها)) [3].

وقيل : ((أبو فراس نفح الشعر برومياته التي نظمها وهو أسير بلون عاطفي لم يعرف من قبل يرشح بصدق الإحساس والتصوير الواقعي مما ضمن لها الخلود الأدبي))[4] .

وذُكر أنَّ من أسباب نظمها : ((إنه لم يقل روميَّاته إلاَّ بعد أن طال أسره ، وأبطأ سيف الدولة في بذل فدائه))[5] .

فلا جرم أن تصدر قصائده وهو أسير عن قلب شجي ونفس رقيقة متألمة ، فتزداد رقة ولطافة وسلاسة وتؤثر في النفوس تأثيراً محزناً ، وتعلق بالحفظ لسلاستها وتهيج فيها الحماسة وعلو الهمة ، وهي مطبوعة بطابع يميزها عن باقي شعره [6]في تلك الروميات الرائدة بلور أبو فراس مشاعر الحزن والتبرم والألم ومنها بائيته المشهورة التي اخترناها عنواناً لهذه الدراسة ، عسى أن نكون قد أصبنا الاختيار ومن الله التوفيق.

طل أبو فراس ببائيته المملوءة بما يعاني ، لذلك جاء المطلع بالغزل التقليدي الرمزي الذي لازم مضمون قصيدته :

1- أمـــــا لجميـــــلٍ عنـــــدكُنَّ ثـــــوابُ ولا لمســـــــيءٍ عنـــــدكُنَّ متـــــــاب[7]

ج

❖ يقود استهلال القصيدة إلى تقرير العتاب الرقيق ومجابهة المخاطب المعُاتَب متخذاً من توظيف الاستفهام بالهمزة ممزوجاً بالنفي من قوله (أما) والنفي المعطوف (ولا) سبيلاً إلى الإشعار بالألم وإظهار اللوعة فلم يُرد من الاستفهام جواباً على سؤال بقدر ما كان إدانةً للمخاطب وتثبيت اللوم عليه فهو يريد (لا ثواب لجميل لدى المخاطب ولا متاب

للمسيء عنده) بمعنى أنَّ الإحسان والإساءة استوتا وباتت الحالة ميؤوساً منها ، فضلاً عن ذلك أسهم التضاد في قوله : (جميل ، مسيء) و (ثواب ، متاب) في إظهار مدى قسوة الألم المؤدي إلى الإحباط والخذلان .

2- لقد ضلَّ من تحوي هواهُ خريدةٌ وقد ذلَّ من تقضي عليه كعابُ
ج

3- ولكنني والحمدُ لله حازمٌ أعزَّ إذا ذلّتْ لهُنَّ رقابُ
ججج

4- ولا تملكُ الحسناءُ قلبيَ كلهُ وإن شملتْها رقةٌ وشبابُ
ج

5- واجري ولا أعطي الهوى فضلَ مقودي وأهفو ولا يخفى عليَّ صوابُ[8]
ج ج

❖ تتضافر الأبيات الأربعة لتؤدي الدلالة الغزلية نفسها في الارتقاء بالنفس وتساميها ممّا يشينها ، فهي تمثل غزل الرجل الكبير والأمير الأبي الحازم العزيز الذي لا تمتلك الحسناء كلَّ قلبه والذي يسير من غير أن ينقاد لهواه ، بل صيَّر الرجحان والإباء اللّذين لم ينفكا عنه ، وهو يطرب ويخف من غير أن يفقد صوابه ويصف من أسلم قياده للحسناوات بالضال من خلال توكيد المعنى المتمثل بلام القسم المتصلة بـ(قد) التحقيق ، عضَّدها الجناس في لفظتي (ضلَّ ، ذلَّ) في انسيابية حققها التقسيم الوارد في لفظتي (تحوي ، تقضي) وكي يترفع عن الأخرين من حيث عدم مشابهته إياهم لجأ إلى الموازنة المتمثلة بالاستدراك الحاصل في (لكن) التي حققت التفاخر بالشدة وعزة النفس التي تأبى المذلة والانقياد .

أمَّا التضاد الحاصل في (أعزُّ ، ذلتْ) فقد سما بنفسه إلى فضاءات رحبه من العزة والقوة ، السمو بما يليق بالفرسان الذين باتوا محط نظر الحسناوات برقتهنَّ وجمالهنَ لا يلوي بنظره إليهنَّ كما تتصاغر النفوس التي تنقاد لرقة اللائي أسرْنَ الكثير من الرجال .

6- إذا الخلُّ لم يهجرْكَ إلاَّ ملالةً فليس لهُ إلاَّ الفراقَ عتابُ

7- إذا لم أجدْ في بلدةٍ ما أريدُهُ فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ

8- فليس فراقٌ ما استطعتُ فإن يكنْ فراق على حالٍ فليس إيابُ[9]

❖ تطالعنا لهجةٌ موجعة حادة مشوبة بالكبرياء حين يتحدث عن الصديق ، ذلك الذي كانت قطيعته بسبب الملل والضجر المؤكدة بأسلوب القصر المتحقق بـ(ما و إلاَّ أداة الحصر) .

لقد أكد تلك القطعية وقصرها على الملل ليس إلاَّ ، لذا يرى أنَّ كبرياءه المجروح يأبى عليه العتاب كلاماً ، إنه يجسده بالفراق ، وهو يجد أنَّ الكلمات غير كافية لتبيان ما يعانيه ولا تشفي جرحه فالقطيعة أولى وإن حلّ الفراق فلا رجعة فيه .

9- صبورٌ ولو لم تبقَ مني بقيةٌ قؤولٌ ولو أنَّ السيوفَ جوابُ

10- وقورٌ وأحداث الزمانِ تنوشني وللموتِ حولي جيئةٌ وذهابُ

11- وألحظ أحوالَ الزمانِ بمقلةٍ بها الصدقُ صدقٌ والكذابُ كذابُ[10]

❖ يستعين الشاعر بخياله للتعبير عن حقائق الحياة لترجمة فيضان عواطفه وأعاصيرها الهائجة متخذاً التشبيه والاستعارات ممَّا يحيط به في عالمه [11]وهذا نابع من تجربته الحربية المليئة بأنواع الحركات والأحداث المتمثلة بـ(جواب السيوف ، أحداث الزمان ، تنوشه ، مجيء الموت وذهابه) ففي القطعة ثلاث دلالات سمت بمستوى الشعور بالعزة والإباء الرفيع المنبعث من نفسه المكلومة التي طال عليها الأمر الذي أنبأنا بما تمثل به من صيغ المبالغة المتوالية وهي :-

(صبور ، فؤول ، وقور) فهو جلد أمام الصعاب ، وذو قول سديد نابع من عقل راجح، ولكونه الفارس المغوار يلوذ بالسيف إذا دعا الأمر إليه ، وكي يؤكد المداومة على مجابهة المخاطر التي تحفه والمنايا التي تطلبه جاءت دلالة المقدم (للموت) على المبتدأ (جيئة) ، هذه المداومة على مجابهة الأخطار أكدها التضاد في (جيئة ، ذهاب) فضلاً عن ذلك أنه صادق لا يزيَّف الحقائق ، يرى الأمور كما يراها الصادقون ، فليس للصدق صفة غير الصدق وليس للكذب صفة غير الكذب .

12- بمن يثقُ الإنسان فيما ينوبُهُ ومن أين للحرِّ الكريم صحابُ

13- وقـــد صـــار هـــذا النـــاسُ إلاّ أقلّهـــم ذئابـــاً علـــى أجســـادِهنَّ ثيـــابُ [12]

جج

للدلالة على مبلغ ألمه وظّف الاستفهام مكرراً إذ تلعب أداتا الاستفهام (من وأين) دوراً كبيراً في تحقيق هذه الدلالة ، إذ أنَّ تركيزه عليهما يوحي بغياب الأشياء التي تساءل عن وجودها ، وشعوره بافتقادها ، (فهو لا يعرف الموثوق به من الناس) و(أن لا أصحاب للأحرار) ، من هنا جاءت المفارقة في ماهية الصراع في انتفاء الثقة وغياب الأصحاب ، فهو لا يرى هؤلاء إلاّ ذئاباً مخادعين غادرين ، فهو ينظر صورة سوداوية تلاشت فيها الفضائل ، ولم يبق إلاّ الخداع المتمثل بهؤلاء الناس الذين لم ينصفوه ولم يعطوه حق قدرة ، قال هذا لأنه قد عزَّ عليه أن يطول به الأمر في بلاد الغربة حيث لا صديق إلى جانبه ولا أنيس ، وحزَّ في نفسه أن ينساه أصحابه فيقطعوا صلتهم به ، والذي يزيد نفسه كمداً كونه يقدس الصداقة ويحفظ الود ، وفي كلامه نلمس لوعة صادقة وألماً عميقاً جذوره وأسفاً شديداً وقعه على ما بدر من الأصحاب

14- تغابيـــتُ عـــن قـــومي فظنـــوا غبـــاوتي بمفـــــرق أغبانـــــا حصـــــىً وتـــــرابُ

15- ولـــو عرفـــوني حـــق معرفتـــي بهـــم إذاً علمـــــوا أنـــــي شـــــهدتُ وغـــــابوا

16- ومـــا كـــلُّ فعَّـــالٍ يُجـــازى بفعلـــه ولا كـــــلُّ قـــــوّالٍ لـــــديَّ يُجـــــابُ

17- وربَّ كـــــلامٍ مـــــرَّ فـــــوق مســـــامعي كمـــا طـــنَّ فـــي لـــوح الهجيـــرِ ذُبـــابُ[13]

❖ إن ألمه الطاغي جعله يظهر التغابي عن صدود قومه وإعراضهم عنه ترفعاً وإن ظنوا غباءه وعدم فطنته لأفعالهم ولكنهم هم الأغبياء حقاً لعدم تثمنيهم لرجولته وعرفتهم بمكانته في المجتمع وكي يقارن بين منزلته ومنزلتهم عمد إلى توظيف التضاد بين لفظتي (شهدتُ ، غابوا) لرسم صورة مشرّفة لنفسه فهو الحاضر البارز ، وهم الغائبون ، هذا التضاد أضفى مساحة واسعة من الدلالات الثرة المتتالية ، لأنَّ (شهدت) تعني الحضور والبروز والرفعة والمجد والرجولة والشجاعة ، وأمَّا الغياب فيعني التلاشي وفقدان القيمة والانحطاط والضعف والضعة والجبن .

وفي أسلوب ساخر يترفع عن الرد على أفعالهم لو فعلوا لأنهم ليسوا بمنزلته ، وكذا يترفع عن إجابتهم لو تحدثوا لأنهم لا يبلغون شأوه في الكلام ، من هنا نجد الحدة والصرامة في التعبير عن مبلغ السخرية والاحتقار في ذلك التشبيه الساخر بين ما سمع منهم من حديث وبين صوت الذباب الهارب من لفحة الهواء ، وما ذِكْرهُ لهذه الحشرة وصوتها الضعيف إلاَّ كناية عن استصغارهم والاستهزاء بهم .

18- إلـــى الله أشـــكو أننـــا بمنـــازلٍ تحكَّـــمَ فـــي أســـادهَن كـــلابُ

19- تمـــرُّ الليـــالي لـــيس للنفـــع موضـــعٌ لـــــديَّ ولا للمعتفـــــين جنـــــابُ

20- ولا شُـــدَّ لـــي ســـرجٌ علـــى ظَهـــر ســـابحٍ ولا ضُـــــربتْ لـــــي بـــــالعراءِ قبـــــابُ

21- ولا برقـــتْ لـــي فـــي اللقـــاءِ قواطـــعٌ ولا لمعـــتْ لـــي فـــي الحـــروبِ حـــرابُ[14]

❖ وتثور بأبي فراس ثائرة الأسف من تحكم أسريه (الروم) من خلال موازنة استعارية تصريحية بينة وبين أعدائه ، فهو الأسد الهصور وهم الكلاب فأين الكلاب من شجاعة الأسود وسطوتها. !؟ فقد وصف المنازل بمنازل الاستبداد عندما أسند المنازل للفعل (تحكَّم) وخلو المكان من كل المحافل والحروب فجاء المكان مرتبطاً بمشاعر الذل والهوان ويتألم لما فاته - بسبب الأسر- من أفعال الخير والجود ، لقد حُرم طالبوه من معروفه لانقطاعه عنهم ، ويتحسر لغيابه عن سوح القتال ، لقد حيل بينه وبين السيف ، فلم يعد ذلك المغوار الذي لا يقرُّ له قرار إلاَّ على صهوة الجواد ، بين السيوف المجردة والحراب المشرعة ، وفي تجنيسه بين (حروب ، حراب) أعلن عن نفسه التواقة لسيفه الضارب وحربته الطاعنة ، فالعذاب الذي عاناه وخذله هو جحود الأحبة ونسيان الأهل فارسهم ، فضلاً عن توقف الزمن ، والزمن المستدعى هنا هو (الليالي) التي تتوالى من خلال الفعل (تمرُّ) ولكونه عاجزاً عن العطاء رأى الزمن جامداً لا عطاء له . لذا أورد صيغة النفي التي اقترنت بعدة أفعال (ليس للنفع ، لا شُدَّ لي ، لا ضُربتْ ، لا برقتْ ، لا لمعتْ)

22- ســـــتذكرُ أيـــــامي نميـــــرٌ وعـــــامرُ وكعـــــبٌ علـــــى علاّتَهـــــا وكـــــلابُ

23- أنـــا الجـــارُ لا زادي بطـــيءٌ علـــيهمُ ولا دونَ مـــالي للحـــوادث بـــابُ

24- ولا أطلـــبُ العـــوراءَ مـــنهم أصـــيبُها ولا عـــورتي للطـــالبينَ تُصـــابُ

25- وأســـطو وحبـــي ثابـــتٌ فـــي صـــدورِهم وأحلُـــمُ عـــن جُهَّـــا لِهـــمْ وأَهَـــابُ[15]

ج

❖ ويتعاظم أبوفراس ويتفاخربأمجاده وبطولاته التي أظهرتهاالحروب التي خاضها في سبيل الحفاظ على الدولة والملك ،والقبائل العربية التي انتصرعليهاخيرشاهدعلى تلك الصولات الجريئة والبسالةالفائقة . كماأنه خيرجارلجيرانه يرعى ذمامهم ولايبخل عليهم بما يطلبون،يتسارع إليهم بالخيروالوصل،كريم لايقفل بابه دون حاجاتهم لوضاقت بهم الحياة ونزلت بهم عوادي الدهر،وفي تجنيس لطيف في لفظتي (العوراء،العورة) يظهرإباءه وعزة نفسه،فهو يترفع عن الدنايا ويبتعد عن الرذائل والرديء من الأمور،وله من عفة النفس والحياء وشرف المحتد.

وفي المعارك يقاتل أعداءه ويتغلب عليهم ورغم ذلك يشعر باحترامهم وتعظيمهم له ، كما أنه سمح الأخلاق معهم يصفح عن الجاهلين منهم بحلمه ورجاحة عقله ، فيظهرون له الهيبة والإجلال .

26- بنـــي عمَنـــا مـــا يصـــنعُ الســـيفُ فـــي الـــوغى إذا فُـــلَّ منـــه مَضـــربٌ وذبـــابُ

27- بنـــى عمّنـــا لا تنكـــروا الحـــقَّ إننـــا شـــدادٌ علـــى غيـــرِ الهـــوانِ صـــلابُ

28- بنـــي عمّنـــا نحـــن الســـواعدُ والظّبَـــى ويوشـــكُ يومـــاً أن يكـــونَ ضِـــرابُ[16]

❖ في الأبيات الثلاثة يتوالى تكرار النداء ثلاث مرات في قوله (بني عمنا) مستدعياً من خلاله الأنا الجمعية ليبرز قوميتهم ، آملاً فك أسره وجلاء همه ، فضلاً عن إبراز منزلته وعلو شأنه ، ويخص بهذا الخطاب ابن عمه (سيف الدولة) الذي توانى في فدائه ، لقد وجد الشاعر في هذا التكرار مساحة واسعة للعتاب والتنفيس عن معاناته الشديدة وأزمته النفسية ، والتكرار يبرز إلحاح الشاعر على نقطة معينة يريد توكيدها أو بلورتها ، وهو تعبيري توكيدي يصور انفعال النفس وتوترها .

بدأ معاتبا ابن عمه عتاباً يلين الجلمود متوسلاً إليه الفداء وبأسلوب استعاري تصريحي يرى أنه (السيف) المثلوم الذي لم يؤد دوره ، ولم يكن ذا نفع ، لانه محبوس بين جدران لايرى نور الشمس وتتصاعد الدلالة حدة في قوله : بني عمنا أنتم العارفون بأمرنا من الشجاعة والصلابة والبطش وكنا لكم خير معين ومؤازر عندما تدور الدوائر ، وتحل الشدائد

29- وإنَّ رجـــالاً مـــا ابـــنكم كـــابنِ أخـــتِهم حريُّـــون أن يقضـــى لهـــم ويُهـــابوا

30- فعـــن أي عـــذر إن دعـــوا ودعيـــتمُ أ بيـــتُم بنـــي أعمامنـــا وأجـــابوا

31- ومـــا أدَّعـــي مـــا يعلـــم اللهُ غيـــرهُ رحـــاب علـــيَّ للعفـــاة رحـــابُ

32- وأفعالُـــهُ للـــراغبينَ كريمـــةٌ وأموالُـــهُ للطـــالبين نِهـــابُ[17]

❖ تنم هذه الابيات عن إلحاح شديد في المسألة ، لضيق صدره من الأسر وطول مدته ، إنه يطلب المفادة وينسب سيف الدولة إلى التهاون في أمره ، لكنه لا يطلبه بذلةٍ وضراعة ، بل يطلبه بكل أنفة وكبرياء ، وليس بغريب أن يصدر منه مرُّ العتب واللوم ، فهو بالأمس أمير واليوم أسير ، وبينما هو حاكم إذا به محكوم عليه ، وكي يحثهم على فدائه قال : إن القوم الذين يعتنون بابنهم ولا يجعلونه كابن أختهم الذي هو من قوم أجانب يستحقون العزة والإكبار والهيبة ، فعليكم أن تكونوا مثلهم .

في هذا التفاتة من أبي فراس الى إظهار جانب اللين والرقة في التعامل مع العدو، لأن ((من أبرز استراتيجيات الشاعر الحربية هي تغيير صورة العدو وإظهار نوايا التصالح والاسترخاء في انتظار استجابة إيجابية من الطرف الآخر))[18]

ويبرز التضاد الوارد بين (أبيتم ، أجابوا) تلك المفارقة العجيبة بين قومه وبين الاعداء من الروم ، فالروم طلبوا إخراج ابن اخت الملك فامتنع سيف الدولة من إخراجه إلا بفداء عام فكأنه يلوم سيف الدولة فيقول : إن الروم أجابوا ابن أخت الملك لما دعاهم لفدائه ، وأنا دعوتكم فلم تجيبوني وأنا ابنكم فأي عذر لكم ؟

ويظهر التجنيس بين (رحاب ، رحاب) عطاء سيف الدولة وكثرة أمواله ، فأرضه الواسعة ، واسعة كذلك بالمال فهو السخي الكريم ، يكرم الطالبين وينجد المحتاجين ، فأي عذر له في تأخير فدائه .. ؟

33- ولكـــن نبـــا منـــه بكفـــي صـــارمٌ وأظلـــمَ فـــي عينـــيَّ منـــه شـــهابُ

34- وأبطـــأَ عنـــي والمنايـــا ســـريعةٌ وللمـــوت ظُفـــرٌ قـــد أطـــلَّ ونـــابُ

35- فـــإن لـــم يكـــنْ ودٌّ قـــديم تعـــدَّهُ ولا نســـبٌ بـــين الرجـــالِ قَـــرابُ

36- فـــأحوط للإســـلامِ الاّ يضـــيعني ولـــي عنـــك فيـــه حوطـــةٌ ومنـــابُ[19]

❖ وبـــ (لكن) يستدرك يائساً من غياب الأمل وانقطاع الرجاء ، فسيف الدولة أوغل في اهماله ولم يهيء له ما يريد ، يرى نفسه بين حالين صعبين : حال الشعور بالضعف والتراجع بانكسار السيف ، وحال ظلمة الحياة وقسوتها بعدما خبا نورها ، إن الموت يقترب منه وهو لايريد ميتة الجبناء المختبئين عن ساحات الجهاد ، يحاول أن يسمو بفروسيته وهو أمير ، فالمنايا تسرع الخطى إليه بينما قومه يتهاونون في أمره ، ويعمد الى تهويل الموقف بتوظيفه استعارة مكنية يشبه فيها الموت . بحيوان مفترس ذي ظفر وناب حادة يتحين الانقضاض عليه ثم يبرز الالتفات في خطابه ليظهر عاطفة دينية صادقة وعتاب شجي ودود توكيداً منه لمقاييس القرابة المعنوية فبالإسلام تنصهر أعضاء الأمة وأفرادها ليصبحوا تشكيلاً متحداً .

وبأسلوب شرطي وعلى سبيل التذكير نراه رقيقاً معاتباً : وان لم يكن في قلبك من سالف محبة ولا نسب يشدني اليك أو قرابة تربطني بك ، فلي من الفضائل التي يذكرها الإسلام عندما قاتلت في سبيله وحفظت هيبة الدولة والدين ، فأن ضاع جهدي في سبيل الحفاظ على ملك لم يضيع الإسلام ما قدمته من تضحيات ضد أعدائه من الروم

37- ولكننـــي راضٍ علـــى كـــل حالـــةٍ لـــيُعلمَ أيُّ الحـــالتينِ ســـرابُ

38- ومـــا زلـــتُ أرضـــى بالقليـــل محبـــة لـــديك ومـــا دونَ الكثيـــر حجـــابُ

39- وأطلـــبُ إبقـــاءً علـــى الـــودَّ أرضَـــهُ وذكـــري منًـــىً فـــي غيرهـــا وطـــلابُ

40- كذاك الودادُ المحضُ لا يرُتجى له ثـــوابٌ ولا يُخشـــى عليـــه عقـــابُ[20]

❖ ويعاود الاستدراك في محاولة منه لإقرار حالة الرضى والقبول بالحاضر المؤلم، هذا الاستدراك جاء متعلقا بسابقه من الكلام ، فهو بين الحالتين يقران ماله من سابقة فضل على الدولة ، أمَّا كسبه محبة سيف الدولة ، وأما دوره القتالي وهو يذب عن الإسلام والمسلمين ، فأيَّهما الحقيقة في تقرير مواقفه وأيهما السراب ؟

وإن كان في قلب سيف الدولة شيء يسير من الحب فهو راضٍ وقانع به ولكن من دون أن يعذره على منح الكثير ، هو راضٍ بهذا القليل مادام نقيا خالصاً ، وعلى سبيل الحكمة يقر أن الود الخالص لا يقدر بثمن ولا ينتظر عليه أجراً ، ولا يعاقب عليه لأنه حقيقي لا تشوبه شائبة .

41- وقـــد كنـــتُ أخشـــى الهجـــر والشـــملُ جـــامعٌ وفـــي كـــلَّ يـــومٍ لفتـــةٌ وخطـــابُ

42- فكيـــف وفيمـــا بيننـــا مُلـــك قيصـــرٍ وللبحـــر حـــولي زخـــرةٌ وعُبـــابُ

43- أمـــن بعـــد بـــذلِ الـــنفسِ فيمـــا تريـــدُهُ أثـــابُ بمُـــرّ العتـــبِ حـــين أثـــابُ[21]

❖ إن استقبال الخوف والوحدة والغربة هو الدلالة الرئيسة التي قامت عليها دلالاته المكانية والزمانية المتمثلة بـــ : (أرض الروم النائية والبحر المخيف) والشعور بسعة الفجوة بين الماضي والحاضر ، فالماضي يشكل امتداداً يذوب فيه ويتوحد معه لأنه يرى نفسه بهذا الماضي الذي انقضى ، لذا نجد أن مشاعر الحزن والقلق قد سيطرت على أبي فراس بشكل واضح ، إن قلبه موجوع يسترجع أيامه الخالية ومخاوف الفراق تعتريه حيث النوى عن الوطن والأهل والأحباب ، أما الآن فقد شط المزار وحلَّ البين ، لقد تعانقت الدلالتان المكانية والزمانية لتؤكد تضاد الموقف والمقدرة، إنها صرخة تضاد وجدانية بين ما وفره الماضي له وما حرمه الحاضر منه .

وفي لمحة يبرز اللون العتابي ويعود بالشاعر مرة أخرى مذكراً بمنزلته وجهده المبذول في مجابهة المخاطر ومقارعة الأبطال ، فهو يستفهم متألما ، هل بعد هذا العطاء والتضحيات العظيمة أُجازى بإنكار الجميل وبالعتاب المضني المرير .... ؟

44- فليتَـــك تحلـــو والحيـــاةُ مريـــرةٌ وليتـــك ترضـــى والأنـــام غضـــابُ

45- وليـــتَ الـــذي بينـــي وبينـــك عـــامرٌ وبينـــي وبـــين العـــالمين خـــرابُ[22]

❖ التمني هو الوسيلة الوحيدة للشاعر في التخفيف عن حزنه المتراكم الذي يعكس الاضطراب النفسي الذي يعانيه لذا نجده يختم قصيدته بتودد شفيف متخذاً من التضاد بين (حلو ، مريرة) و (ترضى ، غضاب) و (عامر ، خراب) سبيلاً إليه، مستعيناً بتكرار حرف التمني (ليت) ثلاث مرات لتوكيد أمنياته التي باتت في عالم المستحيل ، إن جل مايتمناه هو أن يرى من سيف الدولة المحبة وحلو العيش ولا تهمه قسوة الحياة وشقائها ، ولا يضيره رضى الناس عنه أو غضبهم عليه ما دام سيف الدولة راضياً عنه متوداً إليه ، وان تكون أواصر المحبة متينة بينهما ولا ضير أن قطعت تلك الأواصر مع الناس ، فهم لايعنون له شيئاً بقدر ما يهمه سيف الدولة ومحبته ورضاه .

نرى أبا فراس تتكسر العبرات في صدره يستنشق الذكريات ويفصح عما يراوده بصوته الرخيم ليخلص إلى طموحاته وامنياته من القيد ومن خلف اسوار السجون بيتين اختصرا موقفاً إنسانياً عميقاً مما ساعد على نشرهما وإحبائهما في اذهان الناس

ومن هنا نجد تعدد جماليات الختام ، وكما برز جمال المطلع وخاتمة الأبيات نجد التناسب بينهما وبين خواتيمها .

الخاتمة

ونحن في خاتمة المطاف لابد من الوقوف على أهم النتائج التي توصل اليها البحث وهي :

1. كشفت الدراسة عن أن هذه البائية هي رسالة شعرية وجدانية استعرضت كل المناقب والقيم العليا التي طالما تغنى بها الإنسان العربي في كل زمان ومكان .
2. وقفت الدراسة على أعلى صرخة من صرخات الفارس المناهض للظلم مسجلة الاقتدار البطولي في مجابهة الصعاب والإصرار والايمان بالمبدأ والتطلع الى الحرية .
3. أظهرت مدى حمية الإنسان العربي وغيرته على العروبة والإسلام ، فكان وما زال يقاتل ببسالة رافعاً راية الإسلام يصد المعتدين ، ويدحر كل الأطماع الأجنبية التي تحاول مس الإسلام والاستيلاء على الأرض العربية .
4. توصلت الدراسة الى إظهار المنزلة الفنية والاقتدار الشعري وهي صورة صادقة لشخصية أبي فراس تميزت بصدق العاطفة ورصانة الأسلوب وعذوبة الألفاظ .
5. نقلت لنا هذه الدراسة وقائع الفارس المقيد والأمير الأسير الذي جمع بين قسوة السيف ورقة القافية وبين أبهة الإمارة وذل الاسر .
6. كشفت الدراسة عن تداخل أغراض عدة ففي القصيدة الغزل والفخر والمديح والوصف والشكوى والهجاء والسخرية ، كما تنازعتها عواطف شتى ففيها عاطفة إباء وإجلال ، وعاطفة اعتصام وأمال ، وعاطفة حزن والم ، كما قامت على مشاعر متناقضة تتقلب بين القوة والضعف ، والثورة والهدوء ، والصبر واليأس ، والحنين والنفور والكبرياء والذلة .

وجدت الدراسة أساليب عدة وصور ممتلئة بالحيوية فضلاً عن الفنون البلاغية من (بديع وبيان ومعاني) فظهر التجنيس والتضاد والتقسيم والالتفات والتكرار والتشبيهات والاستعارات والكنايات ، ثم القصر والنفي والاستفهام ، وكان لأسلوب التقديم القدح المعلى ولاسيما تقديم الخبر على المبتدأ حيث ورد منه إثناعشر تقديماً

الهوامش

(1) ينظرأبو فراس الحمداني ، أحمد أبو حاقة ، ص166 . وينظر : عصور الآدب العربي ، محمد كاظم الكفائي ، ص108 .

(2) يتيمة الدهر ، الثعالبي ، شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة ، 112/1 .

(3) م ، ن ، 85/1 .

(4) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح ابن خالويه ، ص6 .

(5) أدباء العرب في الأعصر العباسية ، حياتهم ، أثارهم ، بطرس البستاني ، ص365 .

(6) ينظر : أبو فراس الحمداني ، حققه وأخرجه حسن الأمين ، ص137.

(7) الديوان ، ص24 .

(8) الديوان ص24 ، الخريدة : الجارية البكر أو الحيية الطويلة السكوت .
الكعاب : الجارية التي نهد ثديها .

أهفو : هفا الرجل إذا طرب وخفَّ وطاش
وينظر : لسان العرب مادة (هفا) .
(9) الديوان ، ص24 العزمة : الثبات والصبر .
(10) الديوان ، ص24 – 25 .تنوشني : تطلبني
(11) ينظر : فصول في الشعر ، د. أحمد مطلوب ، ص157 .
(12) الديوان ، ص25 .
(13) الديوان ، ص25 اللوح : الهواء ، الهجير : شدة الحر .
(14) الديوان ، ص25 المعتفون : هم طالبو المعروف ، الجناب : الناحية .
السابح : السابح من الخيل السريع .
الحراب : مفردها حربة وهي ألة للحرب من الحديدة قصيرة غير محددة ، وهي دون الرمح.
(15) الديوان ، ص25 ، 26 العوراء : الرديء من كل شيء
العورة : كل شيء يستره الأنسان من أعضائه أنفة وحياءً .
ينظر : لسان العرب مادة (عور) .
(16) الديوان ، ص26 ذباب : دباب السيف حده .
ينظر: البلاغة والاسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، ص218 .
وينظر : التكرار في الشعر الجاهلي ، دراسة اسلوبية ، د. موسى ربابعة (بحث) ، ص192 .
(17) الديوان ص . 26علي : اسم سيف الدولة .
(18) صورة العدو ، من وكبيديا – الموسوعة الحرة ./ ص7
(19) الديوان ، ص 26 .
(20) الديوان ، ص26 ، 27 .
(21) الديوان ، ص27 .
(22) الديوان ، ص27 .

المصادر والمراجع

1- أبو فراس الحمداني – أحمد أبو حاقة – منشورات المكتب التجاري – بيروت– ط2 – 1963 .
2- أبو فراس الحمداني – حققه وأخرجه حسن الأمين – دار الهادي للطباعة والنشر – بيروت – ط1 – 2004 .
3- أدباء العرب في الأعصر العباسية – حياتهم ، اثارهم – بطرس البستاني – دار هارون عبود – بيروت – 1979 .
4- البلاغة والأسلوبية – د. محمد عبد المطلب – مطابع البيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – 1984 .
5- ديوان أبي فراس بشرح ابن خالويه – دار صادر – بيروت – (د.ت) .
6- شرح ديوان أبي فراس الحمداني – منشورات دار الفكر – بيروت – 1960.
7- عصور الأدب العربي – بقلم محمد كاظم الكفائي – إشراف شاكر محمود الحمامي – مطبعة الإرشاد – بغداد – 1967 .
8- فصول في الشعر – د. أحمد مطلوب ، منشورات المجتمع العلمي – بغداد – 1999 .
9- لسان العرب – ابن منظور – دار الحديث – القاهرة – 2003 .
10- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – أبو منصور الثعالبي ، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1983 .

البحوث

1- التكرار في الشعر الجاهلي (دراسة أسلوبية) ، د.موسى ربابعة – المدى – 2007 .
2- صورة العدو – من ويكبيديا – الموسوعة الحرة – تحت العنوان الالكتروني : www.wikpedia-com .